

«فالرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة»<sup>(١)</sup> ومن خاص الرحمن اختصاصها تسمية ومعنى بالله إذ لا يسمى بها سواه، وكما لا رحمة عامة لسواه، والرحيم يسمى بها سواه كما الرحمة الخاصة كما هي له تكون لسواه، مهما بان البون بين الرحمتين على أية حال.

كما والرحمن خاصة بالأولى لعموم الخلق والهداية فيها، دون الأخرى حيث المُعَادُ في المَعَاد هم المكلفون فقط لا سواهم، والمرحومون بينهم هم المؤمنون لا سواهم، والرحيم تعم النشأتين «فالرحيم أرق من الرحمن وكلاهما رفيقان»<sup>(٢)</sup>.

وقد تعم الرحمن الآخرة كما الأولى نسبياً ف ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾<sup>(٣)</sup> فهو «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما»<sup>(٤)</sup> حيث المكلفون كلهم يحشرون برحمة رحمانية كما خلقوا أول مرة ثم المؤمنون منهم يرحمون برحمة رحيمية.

ولأن الرحمة العامة أوفق بالأولى من الأخرى، كما الخاصة أوفق بالأخرى من الأولى، إذأ ف «الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة»<sup>(٥)</sup>. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾<sup>(٦)</sup> فالرحمة

(١) نور الثقلين عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) الدر المشور ١ : ٩ - أخرج البيهقي عن ابن عباس عن النبي ﷺ في حديث تقسيم الحمد، بين الله وعبده فإذا قال العبد ﴿يَسُبُّ اللَّهَ أَلْعَنَ الرَّحِيمَ﴾ قال الله: عبادي دعاني باسمين رفيقين أحدهما أرق من الآخر فالرحيم أرق من الرحمن وكلاهما رفيقان.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٦.

(٤) المصدر - أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات ويعلمه: اللهم فارح الهَمَّ وكاشف الكرب ومجيب المضطر ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك.

(٥) مجمع البيان للطبرسي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ : . .

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

الواسعة هي الرحمانية حيث تسع كل شيء، والمكتوبة هي الرحيمية التي تخص المؤمنين المتقين.

وما «الرحمن بجميع خلق والرحيم بالمؤمنين خاصة»<sup>(١)</sup> إلا بياناً لمصداق خاص للرحيم بين مختلف مصاديقها، فإنها تعم الكافر الذي هو في سبيل الهدى كما تصرح لها آيات وتلمح لها أخرى، كما تعم السابقين والمقربين المخلصين، وبينهما متوسطون، وهم المؤمنون فعلاً بدرجاتهم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم الرحمة وهي في الخلق رقة، ليست في الخالق كما هيه، فإنه «رحيم لا يوصف بالرقة»<sup>(٣)</sup> ف «إن الرحمة ما يحدث لنا منها شفقة، ومنها وجود، وإن رحمة الله ثوابه لخلقه، والرحمة من العباد شيئان أحدهما يحدث في القلب الرأفة والرقة لما يرى بالمرحوم من الضر والحاجة وضروب البلاء، والآخر ما يحدث منا بعد الرأفة واللفظ على المرحوم، والمعرفة بما نزل به، وقد يقول القائل: انظر إلى رحمة فلان، وإنما يريد الفعل الذي حدث عن الرقة التي في قلب فلان، وإنما يضاف إلى الله عز وجل من فعل ما حدث عنا من هذه الأشياء، وأما المعنى الذي في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه، فهو «رحيم لا رحمة رقة»<sup>(٤)</sup>.

فالرحمن والرحيم هما من الصفات المتشابهة: كالسميع والبصير وأضرابهما يجب أن تجرد لله عن صفات الحدوث، مشاركة في الألفاظ ومباينة في المعاني، فإنه تعالى وتقدس «باين عن خلقه وخلقته باين عنه»

(١) تفسير البرهان ١: ٤٤ محمد بن يعقوب بإسناده عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد

الله ﷺ عن تفسير بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقال . . .

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) نهج البلاغة عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ .

(٤) في كتاب الإهليلجية عن الإمام الصادق ﷺ .

و«لا يتغير بانغيار المخلوقين كما لا يتحد بتحديد المحدودين» فإنما رحمته تعالى رحمانية ورحيمية هي معاملة الرحمة دون رقة في قلب أو سواه، إذ ليس له انفعال وانغيار أو رقة في قلب أو سواه، فصفات الله تعالى تفسر كما يناسب ساحة الذات ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾ (١).

وإذا كان البدء باسم الله يمثل ما يعيشه المسلم من الكلية الأولى من توحيد الله، فإن استغراق الرحمة لحالاتها ومجالاتها رحمانية ورحيمية يمثل كلية ثانية تقريراً لعلاقة المسلم في حياته كلها بالله، عائشاً في ظلال رحمته أينما حلّ وارتحل.

وقد أجملت البسملة عن الأصول الثلاثة، ما توضحه الفاتحة، وتفصله القرآن العظيم.

﴿يَسِّرْ اللَّهُ﴾ تعني الفقر إلى الله، ولزوم مصاحبة عبادة الله، تدليلاً من رسول الله، وسواها مما تعنيه في مثلث معاني الباء ومسبّع الاسم.

كما ﴿اللَّهُ﴾ تدل على وحدانيته، حيث الكائن اللامحدود وهو صرف الوجود بكافة اللانهايات من كمالات الوجود، يستحيل تعدده، فإن لزام التعدد وجدان كل ما يفقده الآخر وهو نقص وحد.

ثم الرحمن تدلنا على باسط رحمته وواسع رأفته، وقضيته ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٢) وكما الأشياء درجات، فهدايتها درجات حسب الدرجات، وللإنسان وهو في أحسن تقويم أعلى الهدايات.

ثم الرحيم تقتضي هذه الرحمة الخاصة بالإنسان، وقضيته هداية الوحي المعصوم بواسطة نبي معصوم حيث يحمل رسالة الله بهداه، وقضيته ثانية

(١) سورة الصافات، الآيتان: ١٥٩، ١٦٠.

(٢) سورة طه، الآية: ٥٠.

ضرورة المعاد ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾<sup>(١)</sup> ولولا المعاد لكانت رحمة الهداية زحمة، وكيف العالم القادر العدل الرحيم يترك القضاء العدل بين عباده؟ فإذا لا نرى جزاء وفاقاً في الأولى فليكن في الأخرى ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذه جملة مما في البسملة من المبدأ والمعاد وما بين المبدأ والمعاد.

وعلى من حكم تثليث الأسماء «الله - الرَّحْمَنُ - الرَّحِيمُ» لتشمل عباد الله أجمع ﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾<sup>(٣)</sup> فهو ﴿اللَّهُ﴾ للسابقين إذ يعبدونه لأنه الله وتلك عبادة الأحرار، وهو الرحيم للمقتصدين إذ يعبدونه بين طامع في ثوابه وخائف من عقابه، وهو الرحمن بسائر خلقه من الظالمين من يعفى عنهم ومن لا يعفى، فإنهم تشملهم رحمته الرحمانية في الدنيا مهما كانوا كافرين!.

والبسملة حتى الضالين من كلامنا كما علمنا ربنا كيف نكلّمه في معراجنا، فإنه تعالى لا يستعين أو يبتدىء ويصاحب أمراً في أمره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٤)</sup> كما وأنه لا يعبد ويستعين وإنما يُعبد ويُستعان، ولا يطلب الهداية لنفسه إلى صراطه المستقيم، مهما يحمد نفسه بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولكنه أيضاً إعلام وتعليم.

فـ ﴿يَسْمِ اللّٰهَ﴾ في كل ما عناه لأنه «الله» و﴿يَسْمِ اللّٰهَ﴾ لأنه «الرحمن» و﴿يَسْمِ اللّٰهَ﴾ لأنه «الرحيم» فإذا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) سورة طه، الآية: ١٥.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٤) سورة يس، الآية: ٨٢.

## ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾:

إن ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ تتلو البسمة في الفضيلة فإنها بداية كل أمر ذي بال كما هيه فـ «كل أمر ذي بال لم يبدأ، فيه بحمد الله فهو أقطع»<sup>(١)</sup> فإنها بلام الجنس تستغرق كل حمد من كل حامد لله دون إبقاء، إذ تستجيش له كل حمد دون سواه، أولاً لأنه «الله - الرَّحْمَنُ - الرَّحِيمُ» وأخيراً لأنه ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾. ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ دون سواه فـ ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنها فاتحة الكتاب كأول دعوى في الأولى، ثم في الأخرى لأهل الجنة هي آخر دعوى: ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>: وهي خير تحميد لله تبارك وتعالى بخير أوصاف كما علّمها عباده المخلصين: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾<sup>(٤)</sup> (٥) وأكمله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ كما هنا وفي سواها ﴿ فَكَادَعُوهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٦)</sup> وقد ذكرت الحمد لله رب العالمين قرينة بربوبيات خاصة (٣٢) مرة في سائر القرآن، بياناً لربوبيته تعالى في مختلف الخلق والتدبير ويجمعه ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وقد تشهد آيات من الحمد بخماسية السبب في اختصاص الحمد به دون سواه.

فلأنه الله: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ ﴾<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) حديث مستفيض في الحمد والبسمة عن الرسول ﷺ والأئمة من آل الرسول ﷺ.
  - (٢) سورة القصص، الآية: ٧٠.
  - (٣) سورة يونس، الآية: ١٠.
  - (٤) فإنها بنفس الصيغة تذكر في (٦: ٤٥) (١٠: ١٠) (٣٧: ١٨٢) (٣٩: ٧٥) (٤٠: ٦٥).
  - (٥) سورة الإسراء، الآية: ١١١.
  - (٦) سورة غافر، الآية: ٦٥.
  - (٧) سورة الإسراء، الآية: ١١١.

ولأنه الرحمن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾<sup>(١)</sup>. ولأنه الرحيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾<sup>(٢)</sup> ولأنه رب العالمين في آيات خمس سوى الفاتحة و﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ولأنه مالك يوم الدين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَبْؤًا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وهذه الخمس هي أسس الربوبية المطلقة بتبدىء بالله وتنتهي إلى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(٥)</sup> وبينهما متوسطات «رَبِّ الْعَالَمِينَ - الرَّحْمَنِ - الرَّحِيمِ».

ويا له من تجاوب لطيف بين القرآن المحكم «الحمد» والقرآن المفصل في آيات الحمد ما يُطمئن أن السبع المثاني صورة مصغرة عن القرآن العظيم.

إن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي «رأس الشكر»<sup>(٥)</sup> و«فاتحة الشكر وخاتمته»<sup>(٦)</sup> فائقاً على النعم المشكور لها فلا قيمة لها أمامها<sup>(٧)</sup> وهي كمال العقل في مدحته لربه<sup>(٨)</sup>.

- (١) سورة الأنعام، الآية: ١. (٢) سورة الكهف، الآية: ١.
- (٣) سورة الحجر، الآية: ٩٨. (٤) سورة الزمر، الآية: ٧٤.
- (٥) الدر المنثور ١: ١١ - أخرج جماعة من أرباب السنن عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ . .
- (٦) تفسير الفخر الرازي ١: ٢٨٤ روي عن النبي ﷺ أن إبراهيم الخليل عليه السلام سأل ربه وقال: يا رب! ما جزاء من حمدك؟ فقال: الحمد لله، فالحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته.
- (٧) الدر المنثور ١: ١١ - ١٢ - أخرج جماعة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: ما أنعم الله على عبده نعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذه وروى مثله عن جابر والحسن عنه ﷺ وفي تفسير الفخر الرازي عن النبي ﷺ أنه قال: إذا أنعم الله على عبده نعمة فيقول العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي أعطيته ما لا قدر له فأعطاني ما لا قيمة له، أقول: وهذه نهاية الرحمة الإلهية ومما لا قدر له أنه علمنا الحمد له ثم وفقنا بالحمد له ثم قدر أنه لا قيمة له!.
- (٨) تفسير الفخر الرازي روي عن علي عليه السلام أنه قال: خلق الله العقل من نور مكنون مخزون من =

وكما لام الحمد تستغرقه الله، كذلك اللام في الله تختصه بالله دون أن يعدوه إلى سواه.

وعلى الحامد لله أن يحمده بفطرته وعقله وصدرة وقلبه ولبه وفؤاده وكل جوانحه وجواره، فيصبح بكله حمداً لله وفاقاً بين جنباته دون نفاق، دون قولة فارغة منافقة يكذبها الجنان وسائر الأركان.

فعلينا أن نعيش ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ونعيش بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في كل حلٍّ وترحال، على أية حال ومجال، في كل فكر أو فعل أو قال حتى نصبح ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تجاوباً مع الكون كله في محراب الحمد، من رعد وبرقه والملائكة من خيفته: ﴿وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾<sup>(١)</sup> ومن كل شيء: ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن لزام الحمد معنوياً أن يشقّق بالتسبيح، تسبيحاً بحمده، حيث الحمد ثناء على ثبوتية الصفات، فلأنها فيما نعرفه من صفات تصاحب خالجة الإمكانيات الخارجة عن ساحة الذات، نسبّحه بحمده عن صفات الممكنات، فنعني من حمده بعلمه وحياته وقدرته نفي الجهل والموت والعجز عن ذاته حيث الثابتات منها في معروفنا ممكنات ولا نستطيع تصورها كما يناسب ساحة قدسه فـ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup> إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ<sup>(٣)</sup>.

= سابق علمه فجعل العلم نفسه والفهم روحه، والزهد رأسه والحياء يمينه والحكمة لسانه والخير سمعه والرأفة قلبه والرحمة همّه والصبر بطنه ثم قيل له تكلم فقال: الحمد لله الذي ليس له نَدٌّ ولا ضِدٌّ ولا مثل ولا عدل الذي ذلَّ كل شيء لعزته فقال الرب: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز عليّ منك:

(١) سورة الرعد، الآية: ١٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الصافات، الآيتان: ١٥٩، ١٦٠.

لذلك لم يرد في سائر القرآن حمداً بألسنة غير المخلصين من المكلفين، إلا الله حيث يحمد نفسه، فهذا نوح يؤمر: ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَخَّعَنَا مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وإبراهيم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾<sup>(٢)</sup> ومحمد ﷺ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾<sup>(٣)</sup> وداود وسليمان ﴿وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> إلا ما حكاه عن أهل الجنة وهم المطهرون من خطأ القول وخطله: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فنحن إذ نؤمر بالحمد في الحمد وفي سائر الأحوال فلنشفعه بتسبيحه حتى يكون كما وصفه عباده المخلصون: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

والحمد - ككل - هو الثناء الجميل على الجميل ذاتاً وأفعالاً وصفات، ف﴿اللَّهُ﴾ حمدٌ للذات بصفات الذات، و﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حمدٌ لصفات الفعل والأفعال، فهو ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾<sup>(٧)</sup> كما وأسماءه جميلة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(٨)</sup> كما وذاته أجمل الذوات.

ثم وكل جمال وكمال في الخلق فائض منه وراجع إليه، فليختص به الحمد كله، كشعور يفيض به قلب المؤمن حين يذكر الله، في كل خطوة وفي كل لحظة أو لمحة، وفي كل خالجة أو خارجة، كقاعدة رصينة للتصور الایمانی المباشر المعاصر.

- (١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٨.
- (٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.
- (٣) سورة النمل، الآية: ٩٣.
- (٤) سورة النمل، الآية: ١٥.
- (٥) سورة يونس، الآية: ١٠.
- (٦) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
- (٧) سورة طه، الآية: ٥٠.
- (٨) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.



فليكن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كما البسمة في موقعها اللائق وهو كل أمر ذي بال، ولا أقل من أقل الحلال، فإنها في غير الحلال تستتبع ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ (١).

ثم الرب هو المالك المدبر المتصرف للإصلاح والتربية اللائقة السابغة، فمن مالك لا يدبر جهلاً أو عياً أو بخلاً أمّاذاً، ومن مدبر لا يملك المدبر حتى يسطع على إصلاحه كما يحبّ ويحب، وهذا وذاك هما مطلق التدبير والملك، ولله الربوبية المطلقة لا يعرقلها أي مانع ولا يردعها أي رادع، لا كربوبية الخلق دون الأمر، ولا الأمر دون الخلق ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

وكما ربوبية الخلق تعم الخلق لا من شيء كالخلق الأوّل، والخلق من شيء كسائر الخلق، كذلك ربوبية تدبير الأمر وهي هداية كل شيء لشيئه: ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٣) من جماد ونبات وحيوان والملائكة والإنس والجان أم أياً كان، فلكلّ سبيل يسلكه بما هدى الله، تكوينية وغريزية وتشريعية أماهيه؟.

فإطلاق الربوبية للعالمين دون إبقاء هو نظام التوحيد الحق وجاه فوضاها التي تفسح لغير الله مجال ربوبيات أو تسمح، وقد تطاردها براهين العقل والآيات حيث توحد الربوبية في الله وتوحده في كافة الربوبيات.

وهذا هو مفرق الطريق بين نظام الربوبية وفوضاها، تزيل كل شائبة وكل غبش وهاجسة عن توحيد الله، هذه التي تعزل الرب عن الحياة وتصرفاتها، انقساماً في الألوهية بين الذات والصفات والأفعال.

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٠.

ف ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، فالرزق معلوم مقسوم وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها من الدنيا ليس تقوى متق بزائده ولا فجور فاجر بناقصه، وبينه وبينه ستر وهو طالبه . (١) .

والعالمين هم الخلق أجمعين، وهو جمع العالم من العلم العلامة، أو من العلم المعرفة، وكل العالم علامة للخالق وآية، وكل العالم يعلم ربه ويسبح بحمده، وجمعه السالم سليم عن الشذوذ، ففيما يعني الخلائق أجمعين هو ترجيح لجانب العقلاء بينهم برزخاً وسطاً من الحقيقة والمجاز، أم هو حقيقة تحتاج إلى قرينة كما هنا وفي سائر الـ (٧٣) موضعاً من الذكر الحكيم، اللهم إلا فيما يخص ذوي العقول، كذكرى القرآن: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢) والرسول: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٣) ورحمة الرسالة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٤) ونذارتها ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٥) .

حيث القرآن، والرسول برسالته ونذارته يخصان العقلاء المكلفين دون سائر العالمين، ولأن الملائكة غير مكلفين برسالة القرآن ومنهم الرسل إلى الرسول ﷺ وليست لهم شهوة النفس حتى يسمى تكليفهم تكليفاً، ولم يرد في القرآن، ولا لمحة أنهم مكلفون بالقرآن، وأن أقل الجمع ثلاثة فليكن بعد عالم الإنس والجن ثالث لأقل تقدير أم يزيد لكي يعينهم ﴿الْعَالَمِينَ﴾

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري ؑ عن الإمام علي ؑ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠ .

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٤ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .

(٥) سورة الفرقان، الآية: ١ .